مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السابع / العـدد الأول
(ذو القعدة 1444هـ/ جوان 2023م)، ص 158–171

سياسة المسخ الاستعمارية في اهتمامات النخبة الإصلاحية الجزائرية خلال النصف الأول من القرن 20م (الصحافة أنموذجا)

The colonial metamorphosis policy in the interests of the Algerian reformist elite during the first half of the 20th century AD

تاونزة محفوظ[1]، TAOUNZA MAHFOUD

[1] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة djilali bounaama university of khemis miliana

taounzamahfoud@yahoo.fr

المرسل: **د/ تاونزة محفوظ** الإيميل: taouanzamahfoud@yahoo.fr

تاريخ الارسال: 18 /2023/01 تاريخ القبول: 27 /2023/05

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز دور صحافة النخبة الإصلاحية الجزائرية في المقاومة الوطنية للمسخ الإستعماري خلال النصف الأول من القرن 20م ،حيث قامت هذه الصحافة بكل جرأة بفضح جميع سياسات المحتل من إدماج و فرنسة و تجنيس الرامية إلى طمس الهوية الحضارية العربية و الإسلامية للشعب الجزائري ، كما شنت حملات إعلامية شعواء ضد مخططات المنصرين المستهدفة لعقيدة الجزائريين الإسلامية،و أظهرت دفاعا مستميتا عن أصالة شخصية الشعب الجزائري و هويته الوطنية ، من خلال نشرها مقالات و كتابات متعددة تتعلق أساسا بـ:مناصرة الدين الإسلامي و التعلق باللغة العربية والإشادة بالتاريخ الوطني للتدليل على أهمية هذه المقومات الأساسية بالنسبة للشخصية الوطنية،و تميزها عن شخصية المحتل الفرنسي،لتساهم بذلك هذه الصحافة في تأجيج الوعي الوطني و الثوري لدى الشعب الجزائري، خاصة عشية إندلاع ثورة أول نوفمبر المباركة 1954م.

الكلمات المفتاحية: صحافة الإصلاح الجزائرية.، السياسة الاستعمارية.، الهوية الوطنية.، اللغة العربية، الدين الإسلامي

Abstract:
This article aims to highlight the role of the Algerian reformist elite press in the national resistance to colonial deformity during the first half of the 20th century AD. Shawaa against the plans of the missionaries targeting the Islamic faith of the Algerians, and showed a desperate defense of the authenticity of the Algerian people's personality and national identity, by publishing multiple articles and writings mainly related to: advocacy of the Islamic religion and attachment to the Arabic language and praising the national history to demonstrate the importance of these basic elements for The national character, and its distinction from the character of the French occupier, so that this press contributes to fueling the national and revolutionary consciousness of the Algerian people, especially on the eve of the outbreak of the blessed revolution of November 1954.
Keywords: Algerian reform press; colonial policy; National Identity; the Arabic language; The Islamic Religion.

1. مقدمة:

لم تكن الصحافة الوطنية الجزائرية مجرد أداة إعلامية إخبارية، بقدر ما كانت وسيلة نضالية وظفتها النخبة الإصلاحية الجزائرية في إيقاظ الوعي الوطني و استنهاض همم الجزائريين وتعبئتهم ضد سياسة فرنسا الاستعمارية الرامية إلى طمس هويتهم الحضارية بكل مقوماتها الدينية و اللغوية و الثقافية لتسهيل مسخهم و إذابتهم في شخصية الغاصب المحتل و من ثمة إنجاح مشروعها الاستيطاني الصليبي بالجزائر، لذلك رأت النخبة الجزائرية أنه من الضرورة بمكان مجابهة مخططات المحتل الاستدمارية بشتى الوسائل الثقافية في سبيل حرية الجزائر و الحفاظ على مقومات شخصيتها، على رأسها الصحافة المكتوبة أكثر الوسائل فعالية في تنوير الشعب الجزائري و تعميق الوعي الثوري لديه في ظل احتكار الصحافة الاستعمارية للساحة الإعلامية بالجزائر و ما كانت تقوم به من دور دعائي منقطع النظير في دعم الغزو الاستعماري للجزائر ثقافيا و حضاريا.

وعليه فإشكالية المقال تتمحور أساسا حول الدور الذي أدته صحافة الإصلاح الجزائرية في التصدي لسياسة المسخ الاستعمارية المستهدفة للهوية الوطنية خلال النصف الأول من القرن 20م.

و يتم تفكيك الإشكالية الرئيسية إلى التساؤلات الفرعية التالية:

ما المقصود بالصحافة الإصلاحية الجزائرية؟ و ما هو تأثيرها في الرأي العام الجزائري؟ و ما هي مظاهر سياسة فرنسا الإستعمارية المستهدفة للهوية الوطنية؟

سيتم معالجة الإشكالية وفق المحاور الرئيسية التالية:

- ماهية صحافة الإصلاح الجزائرية.
- دورها في التصدي لسياسة فرنسا الإدماجية.
- مجابهة مخططات المنصرين
- الدعوة للتمسك بالمقومات الأساسية للشخصية الوطنية.

1–ماهية صحافة الإصلاح الجزائرية:

1.1.ظروف نشأتها و أبرز الصحف الإصلاحية النضالية:

شمل هذا النوع من الصحافة المكتوبة الذي عرفته الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي مجموعة الجرائد والمجلات المحررة باللسان العربي ،التي أسستها النخبة الإصلاحية الجزائرية و أشرفت عليها من حيث التسيير الإداري و التمويل المادي[1]،ويعتبر ظهورها من جهة أخرى بمثابة رد فعل حقيقي على احتكار الصحافة الإستعمارية بشقيها الرسمي و الاستيطاني للساحة الإعلامية بالجزائر، و دورها الخطير في تزييف الحقائق و تجاهلها للأهالي الجزائريين و احتقارهم و تهجمها عل المقاومة الوطنية بأشكالها المختلفة ،كما عرف عنها أيضا الدفاع المستميت عن الوجود الاستعماري الفرنسي بالجزائر ،حيث ظلت تهتم بإبراز ايجابياته على الشعب الجزائري بالتركيز على الانجازات التي حققها –حسب اعتقادها– من عمرانية و ثقافية و اقتصادية و اجتماعية[2]،وقد شجع على ظهور الصحافة الإصلاحية أيضا انتشار الخرافات و البدع على يد الطرقية الضالة ،لاسيما خلال العقود الثلاث الأولى من القرن 20م ،و المدعمة من طرف الاستعمار لتحقيق أغراضه "في إفساد عقول الجماهير و الهيمنة على أفكارها و القضاء على تطلعاتها". [3]

فهذه الظروف كانت تفرض على النخبة الإصلاحية القيام بدورها النضالي الإعلامي في تغيير الواقع الاستعماري الكارثي الذي كان يعيشه الشعب الجزائري وتوعيته و تعميق إحساسه بعروبته و دينه الحنيف،" فالقصيدة و المقالة كانتا تتباريان في التنديد بالتدهور العقلي في فهم الدين و حقيقته و مبادئه

وجوهر تعاليمه، و تحثان على إزالة الفساد عن العقول و العقول و تعلنانهما حربا على الأفكار المريضة"[4].

و يمكن أن نذكر على سبيل المثال –لا الحصر– نماذج من الصحف الإصلاحية التي أدت الدور المنوط بها في هذا المجال على النحو الأتي:

1.1.الصحافة اليقظانية:

و هي الصحافة التي أسسها العلامة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان(...) و المتمثلة في ثمان جرائد،و هي كالأتي: وادي ميزاب(1926-1929)، ميزاب(1930) ،المغرب(1930-1931)، النور(1931-1933)، البستان(1933)، النبراس(1933)، الأمة(1933-1938)،الفرقان(1938)، لم تسلم جميعها من القمع الإستعماري بسبب انتقادها العلني لسياسة فرنسا الإستعمارية و دفاعها المستميت عن القضايا الوطنية[5].

2.1.صحافة الشيخ عبد الحميد بن باديس:

–المنتقد سنة 1925:الصادرة بمدينة قسنطينة،كان شعارها((الحق فوق كل أحد،و الوطن قبل كل شيء)) خاضت معركة إعلامية ضارية ضد الطرقية المنحرفة و رجال الدين الرسميين الداعمين للإدارة الاستعمارية ،الأمر الذي دفع بهذه الأخيرة إلى قمع هذه الصحيفة بسبب لهجتها الشديدة و نزعتها الوطنية [6].

–الشهاب(1925–1939):وهي الصحيفة البديلة للمنتقد المعطلة في سنة 1925،أصدرها الشيخ ابن باديس في 12 نوفمبر 1925 بمدينة قسنطينة،كانت أسبوعية ثم تحولت إلى مجلة شهرية ابتداء من سنة 1929،دافعت عن انشغالات الجزائريين و حقوقهم المشروعة و فضحت مخططات المحتل المستهدفة للهوية الوطنية[7]،استمرت في الصدور إلى غاية اندلا ع الحرب العالمية الثانية،حيث أوقفها الشيخ ابن باديس حتى لايتورط في إقامة دعاية حربية لصالح فرنسا و حلفائها[8].

3.1.صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

أهمها: السنة النبوية (1933)، الشريعة–النبوية المحمدية–(1933)،الصراط السوي(1933-1934)، جريدة البصائر في سلسلتيها الأولى (1935-1939)[9] ،و الثانية(1947-1956)[9]،تميزت جميعها بغيرتها القوية على اللغة العربية و الدين الإسلامي و كل ما يرمز للهوية العربية والإسلامية للشخصية

الجزائرية، كما كان لها الدور الفعال في تنوير الجزائريين بمستجدات الساحة الوطنية و الدولية عامة و الإسلامية و العربية خاصة.

4.1.صحف جزائرية أخرى أدت الدور المنوط بها في المجال الإصلاحي و الدفاع عن القضايا الوطنية:

أهمها:الإقدام (1919–1923) لمجموعة من المناضلين على رأسهم الأمير خالد، و الإصلاح(1927–1948) للطيب العقبي، و المغرب العربي(1937) لـ: حمزة بكوشة[10] و الوفاق(1938–1940) لـ:مُحَّد السعيد الزاهري[11]،و الميدان(1937–1938) لصاحبها الحاج الطيب بن حملة، وصدى الصحراء(1925–1934) لمحمد العابد العقبي ،و المرصاد(1931–1933) لصاحب امتيازها مُحَّد شريف جوكلاري ، والمنار(1951–1954) للمناضل و المجاهد محمود بوزوزو.[12]

2.أهدافها النضالية:

سعت الصحافة الإصلاحية الجزائرية من وراء تأدية رسالتها الإعلامية النضالية إلى تحقيق الأهداف التالية:

– إصلاح أحوال المجتمع الجزائري دينيا و اجتماعيا عن طريق محاربة البدع و الخرافات التي كانت تروج لها الطرقية الضالة الداعمة للاستعمار و مقاومة الآفات الاجتماعية "من فسق و خمر وقمار و تسكع و تهتك" والأخلاق المنحرفة "ذات الطابع الانفرادي الذاتي مثل الأنانية و تفضيل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة و الإعجاب بالنفس و طغيان التفكير المادي و اللامبالاة".[13]

–الدفاع و الحفاظ على الهوية الوطنية للشعب الجزائري بشقيها اللغوي و الديني عن طريق التصدي لمخططات المحتل الاستعمارية من فرنسة و إدماج و تنصير و تدخله في توجيه المؤسسات الدينية الإسلامية لخدمة أغراضه في هذا الشأن.

– محاربة الأمية و الجهل عن طريق دعوة الجزائريين إلى الإقبال على التعليم عامة و التعليم العربي الحر خاصة ،نظرا لأهميته و دوره في التنشئة الإسلامية للأبناء و تحصينهم من الفرنسة و التغريب المستهدفين لهم هذا من جهة، و لدوره–التعليم–أيضا في نشر الوطنية من جهة أخرى.[14]

– تبني انشغالات الجزائريين وحقوقهم السياسية لاسيما المتعلقة بالمساواة و حرية الإعلام و إبداء الرأي[15] والتعليم واحترام مبدأ فصل الدين عن الدولة و رفع القوانين الاستثنائية المفروضة عليهم [16] والمحافظة على

ممتلكاتهم و فتح مجال التوظيف أمامهم و احترام لغتهم و دينهم الحنيف و وضع حد لاستغلالهم من طرف المستوطنين و غطرستهم.[17]

-الدفاع و الحفاظ على الوحدة الوطنية للشعب الجزائري و ذلك بمحاربة العصبيات الجهوية و القبلية و النعرات الطائفية التي كان يشجعها المحتل حتى يتمكن من تجسيد مخططاته في المسخ الحضاري.[18]

3. دورها في التصدي لسياسة فرنسا الإدماجة:

قاومت صحافة النخبة الإصلاحية الجزائرية بكل جرأة جميع مشاريع فرنسا الرامية إلى إدماج الجزائر في شخصية المحتل، بحيث لم تتوان في فضحها و كشف مخاطرها للشعب الجزائري على هويته الحضارية العربية و الإسلامية من خلال ما كانت تنشره من مقالات و كتابات متعددة لأقطاب الإصلاح ،و التي عادة ما كان يطغى عليها الخطاب الديني الحماسي بهدف التأثير على نفسية الجزائريين و من ثمة دفعهم إلى إدارة ظهرهم لهذه المشاريع و العمل على إحباطها، كما فعلته صحافة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان، الذي اعتبر التجنيس بالجنسية الفرنسية كفرا و ردة عن الدين الإسلامي[19] ، حيث كتب في هذا السياق في جريدته وادي ميزاب سنة 1928 قائلا: ".و أي ردة أكبر من الانسلاخ عن الجنسية الإسلامية و الدخول في الجنسية الفرنسية بمعنى الاعتراف بفساد الشريعة الإسلامية و عدم الالتزام بأحكامها و الاعتراف بصلاحية التشريع الفرنسي الوضعي و الالتزام بأحكامه عليه و على ذريته بعده."[20]

وبدوره الشيخ عبد الحميد بن باديس أبدى موقفه الصريح و الشجاع الرافض للإدماج و التجنيس و لم يسلم من تهجمه حتى بعض الجزائريين الداعمين لمشاريع فرنسا في هذا الاتجاه، مؤكدا على تمسك الأمة الجزائرية بشخصيتها المتميزة من خلال مقاله الذي كتبه تحت عنوان((فرنسا)) سنة1938 في الشهاب، مما جاء فيه نقتطف ما يلي: "ناهض الشهاب التجنيس و الاندماج و ناضل عن الشخصية الإسلامية غير مبال بما يعترضه من المستعمرين أكلة لحوم الأمم ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس و لا من صنائعه حزبى الذمم حتى أصبحت الأمة اليوم و هي مجمعة بجميع طبقاتها على لزوم المحافظة على شخصيتها وعدم التنازل عن شيء منها و لو حرمت بكل حق من يد الظالم و العدوان".[21]

و نجد الموقف نفسه عند صحيفة البصائر"لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" من هذا الموضوع ، حيث لم تتردد في خلق دعاية إعلامية لإحباط المشروع الاستعماري الرامي إلى إدماج الجزائر في شخصية المحتل عن طريق التجنيس، حيث قامت في هذا الصدد سنة 1938 بنشر نص الفتوى لشيخ المصلحين

ابن باديس الذي حرم من خلالها التجنيس، و اعتبر المتجنسين له من الجزائريين بالمرتدين عن الدين الإسلامي: 'التجني بالجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة و من رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عاد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع. والمتجنس –بحكم القانون الفرنسي–يجري بجنسيته على نسله فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام ،و تلك الجناية من شر الظلم و أقبحه. وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته". (22)

ويضيف قائلا:" فإذا أراد المتجنس أن يتوب فلابد لتوبته من إقلاع كما هو اللازم بالإجماع في كل توبة. و إقلاعه لا يكون إلا برجوعه للشريعة الإسلامية.....و من تزوج بامرأة من جنسية غير إسلامية فقد ورط نسله في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية،فإن كان راضيا لهم ذلك و مختارا له على بقائهم في حظيرة الشريعة الإسلامية فهو مرتد عن الإسلام". (23)

وفي السياق نفسه نجد العربي التبسي رئيس لجنة الفتوى في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يكتب في ذات الجريدة ينتقد التجنيس الذي اعتبره بالمشروع الاستعماري الخطير المستهدف لعقيدة الجزائريين الإسلامية و شخصيتهم الوطنية في عمقها التاريخي الديني و الحضاري و أبرز أبعاده الاستيطانية، بقوله:" أربع مسائل حدثت بحدوث استعباد بعض الشعوب الإسلامية يوم أن تسلط الغرب القوي على الشرق الضعيف، و هذه المسائل أحدثها مبتدعوها لإخراج المسلمين من أحكام دينهم و إدماجهم في تلك الأمم حتى يكثر سواد الغير و يقل عدد المسلمين، فهؤلاء المبتدعون للتجنيس على علم بتلك الحقيقة الاجتماعية الدينية، من كثر سواد قوم فهو منهم، فيكون التجنس غزوا للعقائد الإسلامية و محاولة لتكفير المتجنس بطريق يستهوي الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، و أنا أتحقق كما يتحقق كل عاقل أن هذه المكفرات لا يفعلها من ربي في أحضان الإسلام و أشرب قلبه حب ما جاء في كتاب الله، و إنما يرتكبها من أشيء نشأة بعيدة عن الإسلام"(24) .

4.مجابهة مخططات المنصرين:

في سياق دفاعها عن الدين الإسلامي باعتباره المكون الأساسي الأول للهوية الوطنية، شنت الصحافة الإصلاحية الجزائرية حملات إعلامية ضد الجمعيات التنصيرية المسيحية باختلاف مذاهبها التي نشطت في الجزائر نشاطا منقطع النظير، لاسيما خلال فترة العشرينيات و الثلاثينيات القرن الماضي، بهدف تجريد الجزائريين من عقيدتهم الإسلامية و من ثمة تنصيرهم على طريقتها الخاصة،فقد أبلت جريدة وادي ميزاب البلاء الحسن في مقاومة مخططات المنصرين و تحذير الجزائريين من أعمالهم الإنسانية ظاهريا ،كتقديم الغذاء و الخدمات الطبية والتعليم و الألبسة و احتضان أبناء الفقراء و الأيتام بهدف التأثير عليهم سيكولوجيا و من ثمة إدخالهم في الديانة النصرانية[25] ، حيث يذكر أحد كتاب الجريدة(الفرقد):"إن المبشرين برعوا بالتبشير بكيفية تحير دونها عقول الشياطين فهم أذكى من الأبالسة في الإغراء فهم يخاطبون العقول كل حسب دائرته يخاطبون العامة بالدارجة و الطبقة المتعلمة بالأسلوب العالي يغوصون في بحور فلسفة الأديان"[26]

و استطاعت هذه الصحافة أن تفضح علنية موقف الإدارة الاستعمارية الداعم للنشاط التنصيري في الجزائر عامة وجنوب البلاد خاصة، من خلال كتابات الشيخ أبي اليقظان في جريدته الأمة سنة 1938،انتقد من خلالها بشدة هذا الموقف بقوله: "و هم يجدون في الحكومة الفرنسية كل مناصرة و مؤازرة، و يلاقون منها وسائل التشجيع و التنشيط و هم على باطل، ما لم يلاق المسلمون و لو جزءا ضئيلا و هم على حق. و بكل سهولة تفهم لماذا توجه بعثات التنصير نشاطها في الغالب إلى أراضي الجنوب "[27] .

و نجد الموقف نفسه عند البشير الإبراهيمي، حيث أبدى احتجاجه على التآمر المفضوح بين الحكومة الفرنسية و المنصرين للقضاء على عقيدة الجزائريين الدينية، من خلال مقاله الذي نشره بجريدة البصائر سنة 1947،أكد فيه هذا الموقف بقوله:" أما المسيحية فهي حاملة اللواء و قائده الرعيل، و من ورائها الاستعمار بخيله و رجاله و جيوشه و مدافعه، و قوانينه و أمواله و جرائده، يحمي حماها و ينافح عنها والحكومة برجالها و أدواتها و وسائلها، تمدها بالعون و تبذل لها المساعدة و التنشيط و تمهد لها سبل العمل و توسع لها في مجال الحرية لبث دعايتها التبشيرية إلى أقصى حد، و من ثم فهي تؤسس مراكز التبشير وتعمرها بالدعاة و الأطباء و المعلمين و تجهزها بكل وسائل الإغراء و الإغواء و تغتنم المجاعات و

الأوبئة فرصا لاصطياد الجوع و اليتامى و المرضى لتفتنهم عن دينهم بلقمة أو ثوب أو جرعة دواء و ما مهد لها تلك الأسباب إلا الاستعمار"[28]

و ما يجب الإشارة إليه أن الصحافة اليقظانية كانت حافلة بالمقالات و الأخبار حول هذا الموضوع الذي عالجته باسترسال مستفيض و بحماس منقطع النظير[29] ،عاكسة بذلك غيرتها الإسلامية و الوطنية الحارة، الأمر الذي عرضها للقمع الاستعماري و بتأثير من المبشرين، بعدما أدركوا خطورة هذه الصحافة على مشروعهم في تمسيح الجزائريين، خاصة و أن أبا اليقظان دعا أيضا إلى ضرورة توحيد صفوف المسلمين في مشارق الأرض و مغاربها لمواجهة جيوش المنصرين الجرارة المستهدفة لدينهم الإسلامي الحنيف[30]

و على نقيض من ذلك نجد بعض الصحف الأهلية الجزائرية المهادنة للاستعمار امتنعت عن معالجة هذا الموضوع و انتقاد السلطة الاستعمارية حتى تضمن الاستمرارية لصدورها كما هو الحال بالنسبة لجريدة النجاح[31] . التي تعتبر أطول الجرائد العربية الجزائرية عمرا ،بحيث استمرت في الصدور طيلة الفترة الممتدة مابين 1919 و 1956 دون أن تضايقها الإدارة الاستعمارية[32] .

5.الدعوة للتمسك بالمقومات الأساسية للشخصية الوطنية :

دافعت صحافة الإصلاح الجزائرية باستماته عن الدين الإسلامي الذي كان يتعرض لضربات موجعة من طرف المحتل الفرنسي منذ أن وطأة أقدامه أرض الجزائر 1830،إدراكا لأهميته الحضارية ودوره الفعال في استنهاض همم الجزائريين و دفعهم للثورة ضد الغزاة الفرنسيين، وأمام استمرار المحتل في استهدافه للمؤسسات الدينية الإسلامية و توجيه بعضها لخدمة أغراضه الدينية و السياسية، عملت النخبة الإصلاحية بكل ما في وسعها على إحباط هذه المؤامرة و فضحها أمام الجزائريين عن طريق الصحافة المكتوبة باعتبارها أكثر الوسائل فعالية، حيث كانت رسالتها الإعلامية مؤثرة لقوة أسلوبها و سمعة كتابها ومكانتهم في المجتمع الجزائر كمفكرين و مثقفين و رجال إصلاح على غرار العلامة الشيخ إبراهيم أبو اليقظان والشيخ ابن باديس والبشير الإبراهيمي و الأستاذ أحمد توفيق المدني و العربي التبسي و الطيب العقبي و غيرهم من النخبة الإصلاحية التي أبلت بلاء حسنا في الدفاع عن الهوية الحضارية العربية ولإسلامية للشخصية الجزائرية[33] و الدعوة للتحرر من الاستبداد الاستعماري و من الوهم و الجمود و من سيطرة الرجعية الدينية ،و الإقبال على التعليم و التشبث بالثقافة الوطنية[34]

احتوت هذه الصحافة على مقالات عديدة دافع من خلالها أصحابها عن الدين الإسلامي باعتباره المقوم الأساسي الأول للشخصية الوطنية، نذكر على سبيل المثال كتابات الشيخ أبي اليقظان الغزيرة في صحافته الصادرة خلال فترة(1926-1938) [35] ،وكتابات أيضا الشيخ ابن باديس في صحيفته الشهاب(1925-1939) [36] ونفس الاهتمام عند صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1933-1939) التي كانت تحتج في أكثر من مرة على التدخل السافر لفرنسا الاستعمارية في الشؤون الدينية للجزائريين بطريقة استبدادية و مهينة لمشاعرهم و كرامتهم في الوقت الذي كانت فيه الطائفتين المسيحية و اليهودية تتمتعان بكل الحريات لممارسة شؤونهم الدينية، كما أشار لذلك الإبراهيمي بقوله:"فلما استعبدت أبدان المسلمين مدت يدها إلى دينهم وأبت عليهم أن يكونوا أحرارا فيه ليتم لها التسلط على الجانبين الروحي و المادي، ولم تستطع التسلط على الدين الموسوي لأن أهله ملوك لا ممالك، ولا نذكر الدين المسيحي لأنه دين الحكومة الرسمي،بل دين فرنسا(بنت الكنيسة البكر).و على هذه الحقيقة فوضعية رجال الدين الإسلامي عند هذه الحكومة ليست وضعية رجال الدين، و إنما هي وضعية الجزء المكمل للجهاز الحكومي كالجندي، و البوليس، فالإمام و الضابط و المفتي و الكوميسار والبراح و المؤذن و البواب و الحزاب...وكل أولئك موظف عندها مفروض عليه السمع و الطاعة"[37].

كما حملت هذه الصحافة على عاتقها مهمة الدفاع عن اللغة العربية بعدما وظف العدو شتى الطرق و الآليات للقضاء عليها و إحلال محلها اللغة الفرنسية التي أصبحت اللغة الرسمية للجزائر المستعمرة ،و هذا لكون العربية رمز هوية حضارية متميزة للشعب الجزائري تعيق تجسيد مشروعه في المسخ الحضاري[38]،الذي اعتقد جازما-المحتل-بأن فرنسة الجزائر مرهون بسحق القومية العربية لها و نشر اللغة الفرنسية الدارجة على حسابها في أوساط الجزائريين لتسهيل استمالتهم و إدماجهم.[39]

لم تقف النخبة الجزائرية مكتوفة الأيدي ازاء هذا المخطط الاستدماري بل عملت على إحباطه عن طريق العمل الإعلامي الذي بين أهمية هذه اللغة و دورها الحضاري وطلب من الجزائريين بضرورة التمسك بها لأنها رمز هويتهم الحضارية على غرار ما كانت تنشره الصحافة اليقظانية [40] و شهاب ابن باديس [41] وصحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[42] ،ونذكر في هذا الصدد بعض الكتابات الحماسية لابن باديس التي نشرتها الشهاب سنة 1939،نقتطف أهم ما جاء فيه:"إني أعاهدكم على أنني اقضي بياضي على العربية و الإسلام كما قضيت سوادي عليهما...و إني سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن و لغة

الإسلام و القرآن ،و هذا عهدي لكم و اطلب منكم شيئا واحدا و هو أن تموتوا على الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن"(43)

و كان دفاع بن باديس عن عروبة الجزائر و إسلامها دفاعا منقطع النظير من خلال إفراده لهذا الموضوع مقالات هامة، نقتطف ماجاء في إحداها مايلي:"فنحن الأمة الجزائرية لنا جميع المقومات، و المميزات لجنسيتنا القومية، وقد دلت تجارب الزمان و الأحوال على أننا من أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية، و أننا مازدنا على الزمان إلا قوة فيها، و تشبثا ،و أنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا"(44)

و من هنا تتجلى أهمية هذه الصحافة و الدور الذي اضطلعت به في إيقاظ الشعب الجزائري من الغفوة و تنبيهه من الغفلة و توجيهه للتمسك بهويته الوطنية و التحرر من الاستعمار، يقول في هذا الصدد الأستاذ الجزائري عبد الملك مرتاض:"فاليقظة الوطنية إلهام قذفه الله في قلوب المصلحين و قادة الفكر في الجزائر. و لكن أفكارهم ما كان لها لتنتشر و تفشو بين الشعب لولا هذه الصحافة العربية اللسان،الرائعة البيان،العظيمة الشأن،فمن كان يجرؤ برسمية العربية و سيادتها لولا هذه المقالات الطويلة المتلاحقة التي كان الإبراهيمي و غيره من الكتاب ينشرونها في البصائر و سواها من الجرائد العربية الحرة"(45)

خاتمة:

مما سبق ذكره يتضح أهمية الدور الذي أدته الصحافة المكتوبة لدى النخبة الإصلاحية الجزائرية في مقاومة المخططات الاستعمارية المستهدفة لهوية الشعب الجزائري الوطنية خلال النصف الأول من القرن 20م،مساهمة بذلك في تفعيل الوعي الوطني من خلال المظاهر التالية:

1- مناهضة لسياسة فرنسا الإدماجة و تحذير الجزائريين من مخاطرها على هويتهم الحضارية و من ثمة تعبئتهم لمجابهتها و العمل على إحباطها بشتى الوسائل

2- فضح لمخططات المنصرين و دعوة الجزائريين لمقاومتها دفاعا و حفاظا عن عقيدتهم الدينية الإسلامية

3- الدفاع عن الدين الإسلامي و اللغة العربية باعتبارهما مكونين أساسين للهوية الوطنية

4- دعوة الجزائريين للتمسك بالمقومات الأساسية لشخصيتهم الوطنية و العمل على إعادة بعثها من جديد عن طريق التعليم العربي الحر في الإقبال عليه و الحرص على التنشئة الإسلامية للأبناء

الهوامش:

(1) زهير إحدادن، **الصحافة المكتوبة في الجزائر**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص32

(2) عبد السلام عكاش،**نظرة الصحافة الاستعماريةلانتفاضة08 ماي 1945** مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر'غير منشورة) قسم التاريخ جامعة الجزائر21(2006/2005/) ص ص 12-29

(3) المركز الجزائري للإعلام و الثقافة،بيروت،**الأدب الجزائري المعاصر**، المركز الجزائري للإعلام و الثقافة، بيروت،1975 ،ص31

(4) نفسه

(5) مُحَمَّد ناصر، **الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954**،ط3، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،2007 ، ص ص(27-47)

(6) نفسه، ص ص95-98

(7) نفسه، ص ص101-106

(8) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)**، م3،ج5-6،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان،2007، ص 253

(9) مُحَمَّد ناصر، المرجع السابق ، ص ص279-289 و 345

(10) نفسه، ، ص300

(11) نفسه، ص ص 315-322

(12) نفسه، ص 389

(13) نفسه، ص117

(14) أنظر على سبيل المثال/ إسماعيل العربي،**''أهداف التعليم العربي الحر''**، جريدة البصائر، العدد93، (1949/10/31)،ص9

(15) أنظر على سبيل المثال/ افتتاحية جريدة البصائر**''يا لله للاسلام و العربية في الجزائر...''** لعبد الحميد بن باديس، العدد107(1938/4/8).

(16) أنظر على سبيل المثال/ البشير الإبراهيمي' **'من الحقائق العريانية''**، البصائر، العدد01، (1947/7/25)، ص 3

(17) مُحَمَّد ناصر، المرجع السابق، ص101

(18) أنظر على سبيل المثال/ إبراهيم أبو اليقظان،**''أيها الجزائري''**،جريدة وادي ميزاب،العدد1، الجزائر، (1926/10/01)، ص1

(19) مُحَمَّد ناصر، المرجع السابق، ص125

(20) جريدة وادي ميزاب، العدد،70،(1928/1/02/17)، ص2

(21) مجلة الشهاب، ج1 ، م14 ، مارس ، 1938، ص 3

(22) عبد الحميد بن باديس،**''التجنس و التوبة منه''**، جريدة البصائر، العدد95، (1938/01/14)، ص 2

(23) نفسه

(24) للمزيد حول هذا الموضوع أنظر/ العربي التبسي،**''فتوى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التجنس الكلي و الجزئي''**، جريدة البصائر، العدد95،(1938/01/14)، ص 1

(25) جريدة وادي ميزاب،العدد119،(1929/02/1)، ص1

(26) الفرقد ،**''مسالة التبشير و المبشرين''**، جريدة وادي ميزاب، العدد87 ،(1928/6/15) ،ص1

(27) جريدة الأمة، العدد161، (1938/04/5)

(28) البشير الابراهيمي،**''الأديان الثلاثة في الجزائر''**،البصائر، العدد13،(1947/11/10)،ص ص1–2

(29) أنظر على سبيل المثال:أعداد جريدة وادي ميزاب:76(1928/3/30)، و 111(1928/12/7)، و119(1929/2/1)

(30) مُحَمَّد ناصر،**أبو اليقظان و جهاد الكلمة**،منشورات قصر المعارض،الجزائر،2006، ص74–75

(31) من خلال تصفحنا لجميع أعداد الجريدة الخاصة بالفترة الممتدة بين 1923 و 1956والمتوفرة بالمكتبة الوطنية ،بحيث لم نجد أي اهتمام للجريدة بهذا الموضوع(التنصير في الجزائر)

(32) علي مرحوم،**''نظرة على تاريخ الصحافة العربية''**،مجلة الثقافة، العدد42، الجزائر، ديسمبر/جانفي، 1978، ص29

(33) راجع/ سلمان نور،**الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرر**،دار العلم للملايين،بيروت،لبنان،2009

(34) المركز الجزائري للإعلام والثقافة، بيروت، **الأدب الجزائري المعاصر**، المركز الجزائري للإعلام والثقافة، بيروت،1975 ، ص37

(35) أنظر/ إبراهيم أبو اليقظان،**''يتقمصون في تبشيرهم''**،وادي ميزاب العدد84، (1928/5/25)

(36) انظر على سبيل المثال/ الطرابلسي،**''الإسلام والجيوش العاملة لتقويض أركانه''**، الشهاب،العدد 165، (1928/9/27)

(37) أنظر/ البشير الإبراهيمي،**''فصل الحكومة عن الدين''**،البصائر، العدد104، (1950/01/23)

(38) أنظر/ عبد لملك خلف المهدي،**أضواء على المغرب العربي(رؤية عربية مشرقية)**،دار البصائر،2011 ،ص210

(39)-الطاهر زرهوني،**''التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال''**،مجلة الثقافة،العدد95، الجزائر،سبتمبر، أكتوبر1986 ، ص250

(40)-أنظر على سبيل المثال:إبراهيم أبو اليقظان،**''اللغة العربية غريبة في دارها''**،وادي ميزاب،العدد 55،(1927/11/3)

(41) للمزيد أنظر على سبيل المثال/ أحمد توفيق المدني،**''بين الموت و الحياة''**،الشهاب م6 ج3،(أفريل 1939)

(42)للمزيد أنظر على سبيل المثال/ البشير الإبراهيمي،**''اللغة العربية في الجزائر،حرة عقيلة ليس لها ضرة''**،البصائر،العدد42،(1948/6/28)

(43)-أنظر على سبيل المثال:عبد الحميد بن باديس،**''الإسلام دين الحياة والعلم و الفن''** ، الشهاب، ج7،م15،(1939/8/17)،ص 346

(44) عبد الحميد بن باديس،**''الجنسية القومية و الجنسية السياسية''**،الشهاب،ج12،م12، (فيفري1939)، ص504-506

(45) عبد الملك مرتاض،**''أثر الصحافة العربية بالجزائر في النهضة العربية''**، مجلة الثقافة،العدد28،الجزائر،أوت /سبتمبر 1975،ص109